ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

A Stylistic Approach to the Novel Ladies of the Moon by Jokha Al Harithi

AbdullRahman Muhammad Mahmoud

Department of Arabic Language / College of Education for Human Sciences / University of Kirkuk

* *Corresponding author: E-mail* : dralrahman1970@uokirkuk.edu.iq

***Keywords*:**
Ladies of the Moon
a novel
Jokha Al Harithi
a stylistic approach.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	10 Mar 2024
Received in revised form	29 Mar 2024
Accepted	31 Mar 2024
Final Proofreading	8 May 2024
Available online	9 May 2024

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

There is no longer any doubt among scholars of literature and criticism that the stylistic approach has become the most capable of critical approaches to analyzing literary discourse in an objective, scientific manner. Stylistics is one of the areas of literary criticism based on its linguistic structure without any other social influences. Or political, intellectual, or anything else, except what this linguistic structure indicates of these influences. Stylistics means studying the text and describing the method of formulation and expression. Therefore, the importance of stylistic analysis appears to be that it reveals the aesthetic connotations in the text by penetrating its content. And analyzing its elements. If it is said: ((Linguistics is the one that studies what is said, then stylistics is the one that studies the manner of what is said, using description and analysis at the same time.)) What is important in the stylistic study is to observe what is generated from the text. Reactions and influence on the mind and conscience of the recipient, and they provide us with critical means that contribute to revealing the writer's ideas and visions in the fictional text. Hence, this study attempts to reveal the writer's ideas and social visions in the novel (Ladies of the Moon) by Jokha Al-Harithi, which revolves around the concepts of love and freedom and the victories and defeats between them. It also alludes to the political and social changes in the Sultanate of Oman, meaning that its narrative time extends to the beginning of the last century, through the period of British colonialism, the communist rebellion in Dhofar, and the alliance of the Arab tribes in Jabal Akhdar against the occupation forces and the authority that It was supported at that time, and then the period of political, economic and social transformations after oil production in the seventies of the last century, and the renaissance led by Sultan Qaboos bin Said, which changed the face of the country, which began to respond to the requirements of modernity, and the urban progress that crept even into remote villages and changed their features.

© 2024 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.31.5.2024.04

مُقاربة أسلوبية أولى في رواية سيدات القمر لجوخة الحارثي

عبدالرحمن محمد محمود / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كركوك.

الخلاصة:

لمْ يعد ثمةَ ريب بين دارسي الأدب والنقد أن المنهج الأسلوبي قد أصبح أكثر المناهج النقديةِ قدرةً على تحليل الخطاب الأدبي بطريقةٍ علميةٍ موضوعيةٍ ، فالأسلوبية هي إحدى مجالات نقد الأدب اعتماداً على بنيتهِ اللغويةِ دون ما عداها من مؤثراتٍ اجتماعيةٍ أو سياسيةٍ أو فكريةٍ أو غير ذلك إلّا ما تشي به هذه البنية اللغوية من هذه المؤثرات ، فالأسلوبية تعني دراسة النص ، ووصف طريقة

الصياغةِ والتعبير، ولذلك تبدو أهمية التحليل الأسلوبي في أنّه يكشف عن المدلولات الجمالية في النص عن طريق النفاذ إلى مضمونهِ وتحليل عناصره ، فإذا قيلَ : ((إنّ علم اللغةِ هو الذي يدرس ما يُقال ، فإن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يُقال ، مستخدمة الوصفَ والتحليلَ في آن .)) وإن المهم في الدراسةِ الأسلوبية هو ملاحظة ما يتوالد عن النص من ردود فعل وتأثر في ذهن المتلقي ووجدانه ، وهي تمدنا بوسائلَ نقدية تُسهم في الكشف عن افكار الكاتب ورؤاه في النص الروائي ، ومن هنا تحاول هذه الدراسة الكشف عن افكار الكاتبة ورؤاها الاجتماعية في رواية (سيدات القمر) للكاتبة جوخة الحارثي التي تتمحور حول مفهومي الحُب والحرية، وما بينهما من انتصارات وانكسارات، كما أنها تلمّح إلى التغيرات السياسية والاجتماعية في سلطنة عمان ، أي أنّ زمنها الروائي يمتد إلى بدايات القرن الماضي ، مروراً بمرحلة الاستعمار البريطاني، والتمرّد الشيوعي في ظفار، وتحالف العشائر العربية في الجبل الأخضر ضد قوات الاحتلال والسلطة التي كان يدعمها آنذاك ، ثم مرحلة التحولاتالسياسية والاقتصادية والاجتماعية بعد إنتاج النفط في سبعينات القرن الماضي، والنهضة التي قادها السلطان قابوس بن سعيد، وغيّرت وجه البلد الذي بدأ يستجيب لاشتراطات الحداثة، والتقدم العمراني الذي زحف حتى على القرى النائية وغيّر ملامحها.

الكلمات المفتاحية : سيدات القمر – رواية – جوخة الحارثي– مقاربة أسلوبية.

مُقاربة أسلوبية أولى في رواية سيدات القمر لجوخة الحارثي

أولاً: مدخل في الأسلوبية :

لمْ يعد ثمةَ ريب بين دارسي الأدب والنقد أن المنهج الأسلوبي قد أصبح أكثر المناهج النقديةِ قدرةً على تحليل الخطاب الأدبي بطريقةٍ علميةٍ موضوعيةٍ ، فالأسلوبية هي إحدى مجالات نقد الأدب اعتماداً على بنيتهِ اللغويةِ .احمد فتح الله 2004، 9)) دون ما عداها من مؤثراتٍ اجتماعيةٍ أو سياسيةٍ أو فكريةٍ أو غيرَ ذلك إلّا ما تَشي بهِ هذه البنية اللغوية من هذه المؤثرات ، ذلك أنّ النص الأدبي ((هو فعالية لغوية انحرفت عن مواصفات العادةِ والتقليد وتَلَبّستْ بروحٍ متمردةٍ رفعتها عن سياقها الاصطلاحي إلى سياقٍ جديد يخصها ويُميزها ، وخيرُ وسيلة للنظرِ في حركةِ النص الأدبي وسُبل تحررهِ هي الانطلاق من مصدرهِ اللغوي . الغذامي عبدالله 1998، 6)) ، وما كان هذا التمايز ليكون لولا ذلك الأسلوب الخاص في الكتابة الإبداعية الذي يُعَرّفه عبد القاهر الجُرجاني بأنه ((المذهب من النظمِ والطريقة فيه . الجرجاني عبدالقاهر، 361)) ، وإلى ذلك يذهب احمد الشايب فيقول: ((الأسلوب هو طريقة الكتابة واختيار الألفاظ قصد الإيضاح والتأثير.المسدي عبد السلام 1993، 130)).

أما الأسلوبية فتعني دراسة النص ، ووصف طريقة الصياغةِ والتعبير، ولذلك تبدو أهمية التحليل الأسلوبي في أنّه يكشف عن المدلولات الجمالية في النص عن طريق النفاذ إلى مضمونهِ وتحليل عناصره ، فإذا قيلَ : ((إنّ علم اللغةِ هو الذي يدرس ما يُقال ، فإن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يُقال ، مستخدمة الوصفَ والتحليلَ في آن .ابو العدوس يوسف 2007، 40)) ، فهي وصفٌ للنص حسب طرائق مستقاة من اللسانيات . المسدي عبد السلام 1973، 48)) ؛ ولهذا فإنّها منهجٌ تحليلي ينصب على الخطاب الأدبي ؛ لأنه يمتلك أدواتٍ تعبيرية تُبرز الملامح العاطفية والجمالية فهي ((تتحرك على مستوى النص الإبداعي دون الإخباري لما فيه من خواصٍ تعبيريةٍ في الصوتِ والتركيب والدلالة.عبد المطلب محمد 1994، 6)) ، على أننا نعلمُ أنّ الأسلوبيةَ لا يمكن أن تُعرَّف بشكلٍ مُرْضٍ وهذا راجعٌ إلى رحابة الميادين التي صارتْ هذه المفردة تطلق عليها من جهةٍ ، وإلى اللبس والضبابية في المصطلحات النقدية المُعاصرةِ من جهةٍ أخرى ، إلّا أنّه يمكن القول انها تعني بشكلٍ من الأشكال التحليل اللغوي لبنية النص ، ومن ثم يمكن تعريفها بأنّها ((فرعٌ من اللسانيات الحديثة يتخصص بالتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية. ابو العدوس يوسف 2007، 40)) ، فالأسلوبيةُ كما يرى البعض : نظرةٌ نقديةٌ شاملة تشمل النص بكل تكويناتهِ الصوتية والمُعجمية والدّلالية والتركيبية ، فالنظرة الأسلوبية قائمةٌ أصلاً على فحص النص الأدبي في تركيباتهِ اللغويةِ للكشف عنِ قيَمها الجمالية .. ؛ ولذلك لابد من القول إنّ منهج التحليل الأسلوبي لا يستغني عن ضرورة التقييم خلال عملية التحليل ، على أن تكون إجراءات التحليل الأسلوبي خاضعة لمنهجٍ علميٍ مُنَظّمٍ ، قابلٍ للاختيارِ والنقدِ لمعرفةِ مدى صدقهِ وإصابتهِ (الزمر احمد قاسم 2004، 45) ؛ ولذا فإنّ الناقدَ مَعنيٌ بالتحليلات الأسلوبية ؛ لأن الغاية التي تسعى إليها أيةُ دراسةٍ أسلوبيةٍ هي زيادةُ الفهمِ والمُتعةِ عن طريق النظر الموضوعي الذي يعتمد اللغةَ أساساً في التحليل وصولاً إلى مكنونات النص وخفاياه .

إن الدراسةَ الأسلوبيةَ للأدب تتمخضُ عنها إشكاليات كبرى ولّدتها الانتماءات المرجعية المتنوعة للرؤيةِ الأسلوبية للأدب ، وما أفصحتْ عنه من مساراتٍ مختلفةِ الطرائقِ في الفوز ببؤرِ الهيمنةِ والتوجيه داخل النص الأدبي ؛ ولذا فإنّ المقاربات الأسلوبية للنص قد تَنّوعتْ وتباينتْ في عمليةِ وضع اليد على السِّمة الأسلوبية في النص ، فما بينَ مَنْ رأى أنّ البنية الأسلوبية في نصٍ ما تكمنُ في مدى قدرة ذلك النص على تَمَثّل القاعدة الجمالية المُشاعة المشتركة ، وبين مَنْ ربطَ تلك البنية بعلاقة الأسلوب بعنصر من عناصر الإبداع (المؤلف ، النص ، المُتلّقي) مما يشي بطابع الفردية ، ولعّل المقاربة الأسلوبية إنما كانت تصبو إلى الوقوع على أواصر الانتساب بين اللحظة الجمالية التي حَفَّزَتْ الفاعلية الشعرية على الإبداع ، وبين بنية ما أُنْتِجَ بتأثير تلك اللحظة . (غركان رحمن 2020، 161).

ولمْ تكنْ إشكاليات الدراسة الأسلوبية للأدب لِتَقِفَ عند حدود التمييز بين ما هو فردي ، وما هو جماعي ، بل تجاوزتْ ذلك إلى البحث في العلاقة التي تربط بين البنية الأسلوبية والبنية الفكرية للنص ، فهل الأسلوب هو الفكر مُتَلَفِعاً بعباءةِ الأدبيةِ .كما يقول أحد الباحثين .؟ (غركان رحمن 2020، 45) وهل هو محتوى أو مدلولات سُكِبَتْ في أوعيةٍ من الدلالات ؟ أمْ هو الفكرة نفسها وقد تَلَمَسَتْ التعبير اللغوي وهي لا تخلو من صيغةٍ وجدانية ؟ .

وكما يرى شارل بالي فإنّ هناك فرقاً بين الأسلوبية ونقد الأسلوب ، فالأسلوبيةُ علمٌ لغويٌ محضٌ يهتم بوصف الأنماط التعبيرية المُتعددة العامة دون أنْ يتطرق للذاتيةِ ، أمّا نقد الأسلوب فمجاله الدراسات الأدبية الجمالية ، ولعَل هذا ما يُفَسِّر ظهور ما يُسمّى بالأسلوبية التكوينية عند ليو سبنزر كردةِ فعلٍ على هذا الاتجاه اللغوي المحض الذي ينكر دور الفرد. (جيرو بيرو د.ت، 45)

أمّا في مسألة التفريق بين الأسلوبية والأسلوب فإن الأسلوبية دراسة للتعبير اللساني ، أو هي بحث عمّا يتميز به الخطاب الأدبي عن بقية مستويات الخطاب اللغوي ، أمّا الأسلوب فهو طريقة للتعبير عن الفكر بواسطة اللغة **(المسّدي عبد السلام : مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد 1 ، 1982 : 39.)**.

ويبدو في نهاية المطاف أن دراسة أدوات التعبير الأسلوبي التي يستخدمها المؤلف يَفْرِضُ على المُتلّقي طريقة تفكيره وهي موضوع الأسلوبية من جهة أنها علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المُميزة التي يستطيع من خلالها المؤلف مراقبة الإدراك لدى القارئ والتي بها يستطيع أن يفرض علينا وجهةَ نظرهِ في الفهمِ والإدراك. فالأسلوبيةُ بهذا علمٌ يُعنى بظاهرةِ حمل الذهن على فهمٍ معينٍ وإدراكٍ مخصوص .(جيرو بيرو د.ت، 7)

ولأن صناعةَ الرواية هي بالأساس صناعة لغوية تقومُ على التقانةِ السرديةِ في خلق عالم الروايةِ المُتداخل ، من شخصياتٍ وأحداثٍ وزمانٍ ومكانٍ ؛ لذا فإن القراءةَ الأسلوبية التحليلية للرواية عَبرَ تتبع بنيتها اللغوية والأسلوبية تُشَكّل مساراً نقدياً شيقاً لاستكناه مكامن النص الروائي والوقوف على معانيه وتأويلاته.

ومن هنا تحاول هذه الدراسة الكشف عن أفكار الكاتبة ورؤاها الاجتماعية في رواية (سيدات القمر) التي صدرت عام 2010م وفازت نسختها المُترجمة إلى الإنكليزية تحت عنوان (أجرام سماوية) بجائزة مان بوكر الدولية في بريطانيا.(**ملتقى الروايات : صحيفة الكترونية).**

وجوخة الحارثي هي كاتبة وأكاديمية عُمانية ، حصلت على شهادة الماجستير في اللغة العربية في عام 2003 ، ثم حصلت على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة إدنبره في أسكتلندا ، عملت أستاذة جامعية في قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس في سلطنة عمان ، تُرجمت بعض نصوصها إلى اللغة الإنجليزية ونشرت في مجلة "بانيبال" اللندنية ، وإلى اللغة الألمانية ونشرت في مجلة "لسان". لها مقالات ودراسات في الصحف والمجلات العربية والإلكترونية، وحاصلة على عدة جوائز محلية وعربية. شاركت في العديد من الندوات والفعاليات الأدبية بسلطنة عمان، وألقت العديد من المحاضرات.(**ملتقى الروايات : صحيفة الكترونية)**

ونحن إذ نُقبلُ على أنموذجٍ من نماذج الروايةِ العُمانيةِ قراءةً وتحليلاً لابد لنا من الإشارةِ إلى أمرين مهمين :

الأول : أن هذه القراءة الأسلوبية تناولت مستويات التحليل الأسلوبي الثلاثة التركيبي، والصوتي ، والدلالي ، ورصدتْ ظواهرها ، على أنْ لا يؤخَذ على هذه القراءةَ تناولها لهذه الظواهر الثلاثة مُتداخلةَ مع بعضها ، مُتواشجة الصلةِ فيما بينها ، وبذا يمكن أن نتخلّص من الدخول في جدلية العلاقةِ بين أسطورة الشكل والمضمون من جهة ، وليقيننا أن هذه المستويات متداخلة مع بعضها فالتركيبي يؤدي إلى الصوتي وكلاهما يؤدي إلى الدلالي من جهةٍ أخرى .

ثانياً : لابد لنا من كتابةِ مُلخصٍ للروايةِ ليتيسر الأمرُ على القارئ في الاطلاع على أبرز أحداثَها ، وعوالمَها وشخصياتَها.

ثانياً: مُلَخّص الرواية :

المكان قرية العوافي وهي مكانٌ مُتَخّيل لكنها ترمز لكلِ قريةٍ في الريف العُماني بكل ما فيه من أعرافٍ وتقاليدٍ وقيمٍ ، وصراعاتٍ ، وأساطيرٍ وخرافات ، وتراثٍ شعبي هائل ، ثم يمتد المكان إلى مدنٍ عمانيةٍ ، وأخرى افريقية وصولاً إلى أوربا ، حيث تدور بعض الأحداث في مسقط العاصمة ومطرح وصحار وصور والجبل الأخضر وصولاً إلى كمبوديا حيث تجارة الرقيق عبر البحر لتمتد الأحداث إلى لندن ومونتريال في أوربا ، أما الزمان فيمتد هو الآخر من منتصف القرن التاسع عشر إلى نهايات القرن العشرين تسافرُ فيه شخصيات الرواية على ظهور الحيوانات ، والبواخر والسيارات والطائرات ، وتعيشُ أحداث الثورة ضد الاستعمار الإنكليزي وتهريب السلاح ، وتجارة العبيد.

إنّها رحلة الانعتاق والوجع الإنساني عَبْرَ الالتحام والافتراق وقصص الحب والخيانة ، والكفاح والخيبة، والعائلة، والتقاليد، وتجارة الرقيق، إنّها سِجلٌ تاريخي حافلٌ لحياة المجتمع العُماني بكلِ تفاصيله ، تشهدُ نضال الإنسان ضد الظلم والعبودية ، وقسوة التقاليد والأعراف ، وقد سَجّلت الرواية

بجرأةٍ عاليةٍ سطوة الجسد والغريزة في مجتمعاتنا الشرقية إلى جانب سلطة المال والنفوذ في مجتمعٍ كان يؤمن بالشعوذة والسحر ، وعالم الجن والخرافة.

والرواية تحكي قصة ثلاثةَ أجيالٍ لعائلتين رئيسيتين هما عائلة (عزّان) والد بطلات الرواية (ميا) و(أسماء) و(خولة) ووالدتهن (سالمة) ابنة الشيخ مسعود ، والعائلة الثانية هي عائلة التاجر (سليمان) والد (عبدالله) الذي تزوج من ميا دون ارادتها فأنجبت له (لندن) و(سالم) و(محمد) المُعاق بالتوحد ، ولم تتوقف الرواية عند تاريخ العائلتين ، بل تجاوزت ذلك إلى حياة أقربائهم وبعض سكان قرية العوافي مثل (منين ، ومروان الطاهر المولع بالسرقة رغم طهارته وتدينه ، وحنان صديقة لندن التي اغتصبت في بيت المعلمات ، والأستاذ ممدوح معلم المدرسة ونجية الفاتنة البدوية الملقبة بالقمر عشيقة عزان، وخالد الفنان الذي تزوج من أسماء ، ووالد خالد عيسى المهاجر ، وناصر زوج خولة وابن عمها ، وعم سالمة الشيخ سعيد الذي تكّفل بتربيتها بعد وفاة والدها ، لكنه كان قاسياً في معاملته لها) ، وغيرهم الكثير ، لكن ذلك لم يُثقل الرواية إذ كان لكل شخصية دورها ووظيفتها في إثراء الرواية وتقديم صورة واضحة عن المجتمع وطبيعته وعاداته وتقاليده ؛ لأن الشخصيات مختلفة وغنية ومركّبة ، إضافةً إلى حياة العبيد من الرجال والنساء السود وطريقة حياتهم الخاصة ومعاناتهم ، ونضالهم في سبيل الحريةِ والانعتاق في مجتمعٍ كانت فيه تجارة العبيد هي الرائجة والأكثر ربحاً.

تعيش سيدات القمر (ميا وأسماء وخولة) في عالمهن الخاص المُتخم بالعادات والتقاليد ، والمآسي في أحداث مليئة بالحب والفراق ، والإصرار والانكسار حيث يتزوج عبدالله ابن التاجر سليمان من ميا زواجاً قسرياً لا رأي لها فيه ؛ لأنها كانت تحب علي بن خلف الطالب الذي سافر إلى لندن للدراسة ، لكنه عاد بلا شهادة ، وهو شخصية هلامية لم تظهر في أحداث الرواية سوى في تأملات ميا وأحلامها ، ميا الفتاة البريئة التي لم تكن تعرف غير الخياطة على ماكنتها علامة الفراشة ، تكتم مشاعرها وتتزوج من (عبدالله) ابن التاجر سليمان استجابةً لرغبة والدها وللعادات والتقاليد ، لكن زواجها ينجح ويفشل زواج خولة من ابن عمها (ناصر) الذي أحبته وأحبها وانتظرته سنين حتى عاد من كندا.

تعتمد الرواية في سردها على تعدد الأصوات إذ تستخدم الكاتبة في الرواية ضمائر المتكلم حيناً والغائب أحياناً أخرى لتضفي تشويقا يجعل القارئ يستجمع قواه في التفكير في مجريات الأحداث ، هذا التعدد الصوتي قد أظهر قدرة الكاتبة على التناوب في الضمائر والأصوات والأشخاص والأزمنة، الأمر الذي يكشف عن محاولة الكاتبة تقديم وجهات نظر مختلفة بحيث يسهم ذلك في كسر أحادية الرؤية التي يمكن أن يقدمها الراوي الوحيد لأحداث الرواية ، ليتناوب السرد الموضوعي والسرد الذاتي في سرد أحداث الرواية التي تكشف جانباً كبيراً من التطورات السياسية والاجتماعية في المجتمع العُماني منذ منتصف

القرن التاسع عشر ونضاله ضد الاحتلال الأجنبي ، والنزاع بين الإمامة والسلطنة حتى اكتشاف النفط الذي شكّل إنعطافة كبيرة في حياة الشعب العُماني وصولاً الحكم الرشيد في عهد السلطان قابوس (رحمه الله) حيث شهدت عُمان نهضتها الحديثة .

ثالثاً: القراءة التحليلية:

إنما يكمن الابداع في النص الأدبي في التركيب واختيار اللفظ ؛ ذلك أن الألفاظ لا تُلقي بظلالِها الذوقيةِ والجماليةِ من خلال مستواها أو معناها المعجمي بوصفها وحدة لسانية داخل النص ، إنما تُمارس ذلك من خلال علاقاتها بالألفاظ المجاورة لها وتجانسها معها صوتياً ودلالياً ، وبهذه الممارسة فإنها أي الألفاظ تُقَدِم الرؤية الدلالية التي تعمل على تقريب ابعاد النص إلى ذهن المتلقي من خلال الوقوف على هذه التواشجات التي يتم بها تشكيل النص ، إذ إن الطريقة التي يتم بها تركيب بنية النص هي التي تمنحه قيمته التعبيرية والايحائية .(مفتاح محمد 99، 41)

1_ المستوى التركيبي:

أ_ العنونة:

إن أول ما يلفت نظرنا في هذه الروايةِ هو العنوان (سيدات القمر) فالعنوان هنا يفتحُ باباً لتساؤلاتٍ كثيرةٍ من خلال الانزياح الأسلوبي الذي منح الألفاظ معانيَ جديدة غير التي وضعت لها في المعجم من خلال هذا الاستعمال الخاص للغة ما أدى إلى التغيير الحاصل في المعنى الدلالي لدالة العنوان (سيدات القمر) ، وإذا كان العنوان لدى المُنَظِّرين ((جزءً لا يتجزأ من استراتيجية الكتابة لدى الكاتب لاصطياد القارئ وإشراكه في لعبة القراءةِ ، في محاولةٍ لفهم النص وتفسيرَه وتأويلَه. **خالد حسين : مجلة الموقف الأدبي ، العدد 228 2006 م : 104.**)) ، فإنّ العنوان هنا جاء كاشفاً هذه الستراتيجية ، وقد شَكَّلَ العنوان

نفسَهُ انزياحاً بارزاً ، وشحنة المجاز تندفع فيه بصورةٍ كبيرةٍ ، إذ إن علاقات الإضافة مشحونة بعنصر المُفارقةِ فإضافة (سيدات) إلى (القمر) ولَّدَتْ مفاجأة غير مُنتَظَرة لدى القارئ ، فلو كان العنوان (سيدات القصر) مثلاً لكانَ وقعها على القارئ طبيعياً ، لكن سيدات القَمر فيه خروجٌ عن سُنَنِ القولِ ، وهذا ما أرادته الكاتبة ، ولنا أن نتصور بعد ذلك من هن سيدات القمر؟ فالعنوان هنا يحيلنا إلى أن ابرز شخصيات الرواية هي شخصيات نسوية وهذا يكتشفه قارئ الرواية من الصفحات الأولى للرواية ، ثم يكتشف بعد ذلك أن القمرَ مُجسد في لقب شخصية الفاتنة البدوية (نجية) التي تعيش حياتها كما تريد هي لا كما يريد المجتمع أو ما تفرضه التقاليد فهي انموذج للمرأة المتحررة العاشقة ، أمّا رمزية القمر

فهو رمز للنور والأمل وسط الظلمة والسواد ، ومن الدلالات المتخفية في عنوان (سيدات القمر) هي تلك العلاقة بين سيدات والقمر فكلاهما يشير إلى البهاء والجمال والرفعة والسمو.

وإذا غادرنا عتبة العنوان إلى الفاظٍ أخرى تكررت وتنوعت في دلالاتها وجدنا الرواية تزخر بألفاظ السحر والشعوذة ، وعوالم الجن والخرافة ، والأمثال الشعبية ، وبعض مفردات اللهجة العامية المحلية المحملة بالدلالات الايحائية والايجاز والحجاج .

ب_ توظيف التراث الشعبي:

إن تطعيم النص الروائي بالتراث الشعبي يؤكد التحام النص بواقعه الاجتماعي الذي انبثق منه

ما يُعطي النص هويته المحلية الخاصة ، وتُعد رواية "سيدات القمر" من أبرز الروايات العربية التي احتفت بتراث البيئة المحلية احتفاءً كبيراً لم يمنعها من الوصول إلى العالمية ، بل ربما هذه المحلية هي من هيأت لها لتتألق عالمياً وتتوج بجائزة مان بوكر العالمية.

تغوص الكاتبة جوخة الحارثي في أعماق المجتمع العُماني بشكلٍ عام والمجتمع الريفي القروي بشكلٍ خاص لتنقل تلك التفاصيل تتجَسّد في العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية والتي لا يحق لأحد مخالفتها أو الخروج عليها؛ ولذا فهي تعبر عنها أحياناً بتوظيف اللهجة العامية وبتوظيف المثل الشعبي احياناً أخرى ومن أمثلة ذلك ((عندما خذلتني رجلاي صاحت الداية مررية – الله يسامحها – : " ياعيب الشوم " بنت الشيخ مسعود ستلد راقدة وما قدرت تقف

فوقفتُ مُتشبثة بالوتد حتى انزلقتِ منّي يا ميا في السروال وكدتِ تموتين لولا أن حلّتْ الداية مرية يديّ وسحبتكِ .. إيه والله لم تتكشّف علىّ ولم يرني مخلوق .. اذهبن أنتنّ إلى مستشفيات مسكد تُصبحن فرجة للهنديات والنصرانيات .. إيه ياميا ولدتكِ أنتِ وكل إخوتكِ واقفةً مثل الفرس .. الله يسامحك يا داية مرية. رواية سيدات القمر. جوخة الحارثي،2010 ، 11)) كان للألفاظ العامية في هذا المقطع (الداية ، ياعيب الشوم ، مسكد) دوراً كبيراً في ابراز سلطوية العادات والتقاليد القروية التي لايمكن محالفتها خوفاً من الوصم الاجتماعي رغم قناعة البعض بعدم صحتها فقد تحدت سالمة والدة ميا نفسها وتحملّت ألم المخاض والولادة واقفةً خوفاً من أن يُقال عنها أن بنت الشيخ مسعود قد ولدت وهي راقدة ، وهي تعرف يقيناً أن هذا ليس صحيحاً ولا صحياً وهذا يتضح من قولها في النهاية " الله يسامحك يا داية مرية " وقد يشي لنا هذا النص بدلالةٍ أخرى هي قوة وصلابة الأجيال السابقة مقارنةً بهذا الجيل .

ومن الألفاظ والتركيب التي وظّفتها الكاتبة لتمنح نصّها الروائي هويته المحلية الخاصة أسماء بعض الأكلات الشعبية العُمانية مثل (القابولي ، القاشع ، معصورة قاشع) والقابولي يُصنع من الأرز والبهارات وهويشبه الكبسة في الخليج ، وربما يقابله عندنا في العراق البرياني ، اما القاشع فهو : سمك السردين المُجفف ، والمعصورة هي : خليط من الليمون والبصل والسمك.(الموسوعة الحرة : قائمة بأهم الأكلات الشعبية العُمانية)

وقد وظّفت الكاتبة بعض الألفاظ ومنحتها دلالات جديدة تعبيرية وإيحائية فهذه ميا تُسَمّي ابنتها البكر " لندن" وتصر على ذلك رغم معارضة زوجها وأمها وعمة زوجها ((حين جاء ولد سليمان التاجر لرؤية المولودة قالت له ميا أنّها تريد أن تُسمّيها (لندن) ظنّ أنّها مُتعبة من الولادة وتهذي ، وفي اليوم التالي عادت والبنت وأمّها إلى بيت عمّه وأخبرت أقاربه أنّ المولودة اسمها لندن. الرواية ص 12)) إن اصرار ميا على تسمية ابنتها بهذا الاسم يشي بدلالتين : الأولى هي تعلّقها بحب على بن خلف الذي كان يدرس في لندن ، لكنها تزوجت قسراً من ولد سليمان التاجر ، أمّا الدلالة الثانية فهي أن اسم لندن ربما جاء وكأنه ردة فعلٍ على العادات والتقاليد التي كانت سبباً في زواجها العرفي ، وهذا ماكان سائداً في مجتمع الريف القبلي فهذه ارملة القاضي يوسف تُحَدّث أسماء عن زواجها وكيف تم ((والله يا بنتي كان عمري ما يزيد عن أربع عشرة سنة ، جاءتني أمّي الله يرحمها وقالت لي : قومي يا مريم تَسبّحي والبسي هذه الملابس الجديدة وهذه الأساور وحرز الفضة ، قلت لها : ليش ماه ؟ قالت : اليوم عرسك على القاضي يوسف ، وبكيت حتى انتفخت عيوني وما أحد التفت لي. سيدات القمر، **119**)).

ج_ الاستشهاد بالأمثال الشعبية:

لقد حظي المثل الشعبي بتوظيفٍ كثيف في رواية سيدات القمر، والأمثال الشعبية معينٌ لا ينضب ، فهي حكمة الشعوب تحملُ تراث الأجيال ، وتُصاغ من تجارب وخبرات وحكمة رسّختها الشفاه نتاجاً جماعياً تناقلته الألسن ، بعضها أفرزته حكاية والبعض الآخر ربما نكتة ظريفة؛ ولذلك فهي مُتنَفس الشعوب التي تعكس حاجات الأفراد في دلالةٍ اجتماعية إنسانية شاملة.(توفيق محمد ، الأمثال العربية ،1988، 34).

ومن هذه الأمثال التي وظّفتها الكاتبة في رواياتها والتي عادة ما توردها ظريفة شخصية الأمة شبه المُحررة ، حيث تواجه مواقف الحياة بهذه الخبرة الجمعية والحجة السلطوية التي ينطوي عليها المثل الشعبي والتي لا يستطيع احد أن ينكرها أو يردها ((قال المتوصّف : تمشي الريول تخّب مين الفؤاد مّحب ومين ما اشتهي على كود وتعب. **سيدات القمر : 59**)). والمتوصّف هنا كنايةً عن قائل المثل، ومعنى المثل أن الانسان يمشي مسرعاً حيث يحب الفؤاد، وحيث لا يحب و يشتهي يشعر بالتثاقل والتعب.

وظريفة شخصية يكاد القارئ يراها ويتخيلها من خلال كلامها وحركتها فقد أبدعت الكاتبة في رسم ملامحها الجسدية ، والنفسية ، والاجتماعية فهي وإن كانت من العبيد، لكنها خليلة ومحظية سليمان التاجر والد عبدالله زوج ميا، وهي التي تولّت تربية عبدالله بعد وفاة والدته ؛ ولذلك هي تجلس مع النساء وتأكل معهن ، لكن نظرة المجتمع إليها تذكّرها بأصولها وعبوديتها رغم اندماجها فيه وحبها له ؛ ولذا فهي تستخدم هذه الأمثال حيلةً دفاعيةً كلاميةً تجاه هذه النظرة الدونية ففي حوارها مع والدة ميا نقرأ ((تمطّت ظريفة وضيقّت عينيها : لا يالحّبة .. لكن تعرفي الحبّاب العود ما يأكل إلّا من خبز ظريفة ويقول المتوصّف : اللي يودك ودّه واللي يباك ابغيه واللي يصد بروحه شوري عليك ادعيه .. وأشوف ما أحد زاركم لنصبّ قهوته ... أعطيني البنت ياميا أدعي لها ... قالت سالمة : "البنت تريد ترضع" ابتسمت ظريفة وهزّت كتفها في حركةٍ خفيفة راقصة : " السمك زين يدر الحليب "، قالت سالمة : " لكنه ما زين للنفساء ياظروف ..

ضحكت بصوت عالٍ : يقول المتوصّف : " أعطِ المريض شهوته والمعافي الله " .. لكن ليش السمك والملح مادام حبابي عبدالله جاب لها اربعين دجاجة .. حتى الأفعى اللي عند سنجر جاب لها دجاج حي .. وعسل وسمن وبعدها ما تريدني اطبخ لها .. يقول المتوصّف : " الحمار لمّا يشبع يرفس " .. نسيت لما كانت ما لاقية حتى دشداشة تلبسها .. ياعيني عليك ياولدي يا سنج **سيدات القمر : 204**)).

وقد يتحول المثل من الدلالة الحجاجية إلى دلالةٍ إيحائية كما في المثل الذي ذكرته ظريفة جواباً على سؤال عبدالله ((في ليلة صيد العقعق كانت ظريفة تضمد جراحي البليغة بالملح والكركم وكنتُ أهذي بسؤالٍ وحيد : " كيفَ ماتت أمّي ياظريفة ؟ كيفَ ماتت أمّي ؟" وظريفة التي لم تنطق طوال الليل قالت أخيراً : " ياولدي يا عبدالله يقول المتوصّف : آفتي معرفتي راحتي ما أعرف شيء **سيدات القمر : 199**)). عبدالله الشخصية المحورية والراوي المشارك لأحداث الرواية مع الراوي العليم يسأل ظريفة عن سر وفاة والدته التي قالوا انّها ماتت بعد ولادته بسبب قلعها لشجرة الريحان فقتلتها الجن ؛ لأنهم كانوا يسكنون تحت شجرة الريحان ، لكن جواب ظريفة يحمل دلالات خطيرة تشي بأنها تعلم سر وفاة والدته على يد عمته مسمومةً ؛ لأنها كانت تكرهها ، وهذ ما يستنبطه القارئ الفطن في نهاية الرواية ولايُصرّح به الراوي.

د_ توظيف بعض المعتقدات الشعبية:

ومن المثل الشعبي إلى المعتقدات الشعبية التي حفلت بها الرواية مُتمثلةً ببعض التراكيب التي تُحيل القارئ إليها ، ويعد المعتقد الشعبي من أشكال التراث الشعبي ، وهو تلك الأفكار التي يؤمن بها العامة من الناس والتي تتعلق عادةً بالعالم الخارجي ، أو عالم ما وراء الطبيعة ، فالمعتقد يتعلّق بالجانب الروحي لشعبٍ من الشعوب حتى وإن خالف هذا المعتقد العقيدة الدينية لذلك الشعب .

ومن المعتقدات الشعبية التي وردت في الرواية والتي عبّرت عنها الكاتبة بتراكيب بيئية خاصة توحي بدلالات خاصة مصطلح (الخراثة) والخراثة هي : النفاس وما يستتبعه من طعامٍ خاص حيث كان يُعتقد أن هناك جنية اسمها بقيعة تفترس كل امرأة نفساء ، أو تُسبب لها ولمولودها الضرر إن لم تطعمها من طعامها الخاص وهو مرق الدجاج الحي والعسل وسمن البقر البلدي ((أنزلتْ ظريفة الصينية عن رأسها وجثت على ركبتيها ، مسحت العرق بطرف لحافها وقالت بصوتها الجهوري : " يابقيعوه يابقيعوه .. هذا أكلك ودعي لنا أكلنا ، هذا نصيبك ودعي لنا نصيبنا ، هذا من خراثة ميا بنت سالمة ، دعيها في حالها ولا تضرّيها ولا تضرّي المولودة " انتصبت ظريفة واقفةً وبدأت رحلة العودة إلى العوافي)).

ومن المُعتقدات الشعبية الأخرى داء يُسمّى (القاشعة) وهو داء يصيب المولود فيؤدي إلى قشع أو قتل إخوته الذين يولدون من بعده ((ظن التاجر هلال أنّ مجيء ابنه فاتحةً لمجيء إخوته من بعده غير أنّ كلّ صبي وُلدَ بعد سليمان تَلَقّفَهُ الموت رضيعاً ، فتهامس الناس أنّ سليمان مُصاب بالقاشعة ، الداء الذي يؤدي إلى قشع أو قتل إخوته من بعده ، فكان أن أخذه أبوه إلى الحكيم المُختَص ، الذي اقعد الصبي أمامه باحثاً في عظام جمجمته عن العِرق الثائر الذي أدّى بشدة ثورانه إلى قتل كل صبي يولد بعده ، وحين حدد الحكيم مكان العرق صاح بأعلى صوته : " لقيت القاشعة " وأحمى حديدة على النار وكوى بها راس سليمان في موضع العرق أو القاشعة حتى خمدت تماماً ولم تعد ثانية لقتل إخوانه الذكور ، وهكذا عاش للتاجر هلال ... ولده الأخير إسحاق وبنت نحيلة شديدة البياض. **سيدات القمر : 204**)) .

وعادةً ما يُستحضر المعتقد عبرَ حكايات الجن والأرواح الشريرة والسحر ، والصراع بين قوى الخير والشر كما هو الحال في موت أم عبدالله المفاجئ ؛ لأنها قلعت شجرة الريحان فغضبت الجن الذين يسكنون تحت الشجرة ، وهذه القصة تتكرر أكثر من خمس مرات في الرواية لتفسير موت أم عبدالله التي ماتت بطريقة غامضة فالمُخيلة الشعبية في قرية العوافي تبدع تفسير موت أم عبدالله في ظل غياب الحقيقة ((قال الناس في العوافي إنّ امرأة شابّة قوية مثل أم عبدالله لا يمكن أن تموت خلال يومين أو ثلاثة بلا حمى نفاس ، أكدت عنكبوته أنّها حملت من طعام النفساء بانتظام للجنّية بقيعة كي لا تؤذيها أو تؤذي المولود ، وأقسمت أنّها لم تذق منه شيئاً، كانت تترك الطعام قرب صخرة الجنّية وتذهب دون أن تلتفت .. وقال إنّ المرحومة قلعت شجرة الريحان قبل موتها بقليل ... قالت له إنّ رائحة الريحان تجذب الأفاعي ، وهي تخاف على عبدالله بعد أن يكبر ويحبو. **سيدات القمر : 199**)).

وفي نصٍ آخر ((نعم يقول الناس إنّها مرضت فجأة بعد أسبوعين من الولادة ، تغيّرَ لونُها للأزرق ، وانقبضت حدقتا عينيها ، أخذ العرق يتصبب منها وهي تتشنّج ، فقال الناس إنَ السحرة يتقاتلون عليها ؛ ولذا تتشنّج وتتصبّب عرقاً ، ثم فاز بها أقواهم؛ ولذا همدت وخُيلَ للناس أنّها ماتت ودفنوها. **سيدات**

القمر : 160)) وهكذا كان موتها حكاية أهل العوافي يلتمسون أسباباً لكل موتٍ مفاجئ ، فتعمل الذاكرة الشعبية الجمعية عملها في نسج الحكايات من خلال المعتقدات الشعبية التي تمتلك القوة السلطوية في ظل غياب التفكير النمطي لالتماس الأسباب ، وتفسير الأحداث.

لكن القارئ يمكن أن يمسك خيوط تفسير هذه الحادثة ويصل إلى الحقيقة التي أخفتها الكاتبة وتركت للقارئ التكهن والاستنتاج ليصل إلى الحقيقة بنفسه ((أتذكر أنّ جدتي سالمة أخبرتني أنَ العديد من الأعشاب السّامة .. تنمو في الصحراء المحيطة بالعوافي ، قالت جدتي" إنّ بعض الضرائر كُنّ يدسسن كميّات خفيفة منها في طعام ضرائرهنّ حتى يمرضن ويتفرّغ لهن الأزواج" أمسكت كتفها : " لكن أمي يالندن لم يكن لها ضرائر....لم أستطع النوم تلك الليلة ، كل الناس يرددون كلاماً مشابهاً عن الجن والسحرة ، ظريفة وحدها لم تكن تستجيب للحديث في موضوع مرض أمّي .. ولكنّ ظريفة ماتت الآن ، هل لكل هذا علاقة بإصرارها على كل طعام قبل أن آكله طوال سنوات؟ . **سيدات القمر : 161.)).**

هكذا –إذاً – تشتغل المُخيلة الشعبية لِتفسّر أمراً غامضاً في ظل الغياب المطلق للحقيقة الغائرة ، وحدها ظريفة كانت تعلم الحقيقة ، لكنها اختارت السكوت بعد أن وجدت تسوراً في المعتقدات الشعبية تتسّور وراءه وتتسوّر الحقيقة من خلفها، حقيقة أن أم عبدالله ماتت مسمومة مع سبق الإصرار بتدبيرٍ شيطاني من أخت زوجها المُطلّقة بعد أن اتهمتها بهتاناً وزوراً في شرفها مع أحد العبيد ؛ لأنها كانت تكرهها.((بدأت تستعيد حوادث بعيدة لم تكن تظن أنّها ستواجه عقلها بها يوماً ... كانت ذاهبة للاحتطاب حينما سمعت وشوشةً في غرفة التاجر سليمان فلم تتمالك طبعها الفضولي وألصقت وجهها في النافذة الخلفية .. كان هو وزوجه ينامان في غرفتينِ منفصلتين منذ ولادتها عبدالله قبل ثلاثة أسابيع ، دقّت أخته الباب ودخلت مباشرة ، اعتدل في فراشه: " خير؟"، رمقته بنظرة طويلة " حُرمتك ".. تناول دشداشته من المشجب الحديدي المشغول ولبسها ، واجه أخته: " مالها حرمتي؟" قلتِ تزوّج واترك العبدات ، تزوجنا ، قلتِ ماتلد ، وولدت صبياً ، " إيش تريدي الآن ؟"... قالت بصوتها الخفيض دوماً :" شفتها هي وسليم عبد الشيخ سعيد تحت شجرة الريحان" أخذ التاجر سليمان يرتجف ، فأكملت دون تغيّر نبرة صوتها : "ولا يهمك خليها عليّ ". كان على التاجر سليمان أن يسافر في ذلك اليوم إلى صلالة لشؤون تجارته ، وبعد أن عاد بعد ثلاثة أشهر كانت زوجته قد ماتت تاركةً عبدالله في رعاية عمّته وكان سليم عبد الشيخ سعيد قد اختفى. **سيدات القمر : 161.)).**

2_ المستوى الصوتي:

أ_ ظاهرة التكرار:

وإذا ما انتقلنا إلى بعض الظواهر الصوتية وجدنا للتكرار حضوراً مُميزاً في الرواية ، ويُعَد التكرار من أهم السِّمات الأسلوبية في اللغة العربية فهو أحياناً يأخذُ شكل تكرار الدّال مع مدلولٍ واحد ، أو تكرار الدّال مع مدلولٍ جديد في كلِّ مرة ، أو تكرار مدلول مع دالّاتٍ مختلفة ، وقد تكررتْ في النص الروائي ألفاظ كان لِتكرارِها دلالات في تحقيق المعنى المُراد ، وفي التعبير عن الحالة النفسية لشخصيات الرواية من ذلك تكرار ميا عبارة (أحلف لك ياربي) سبع مرات في مقطع واحد في إظهار حبها الأول لعلي بن خلف الطالب الذي كان مسافراً إلى لندن للدراسة ، لكنه عاد بلا شهادة ((أحلف لك ياربّي إنّي لا أريد غيرَ رؤيته ، بالعرَق على جبينه مرّةً أخرى ، بيده على جذع النخلة ، بالتمرةِ يلوكها في فمه . وأحلف لك ياربّي أنّي لا أريده أن يلتفت لي ، من أنا ؟ بنت لا تعرف غير الخياطة ، لستُ مثقفة كأسماء ، ولا جميلة كخولة . وأحلف لك ياربّي سأصبر حتى شهر عنه، هل ستدعني بعد الشهر أراه ؟ وأحلف لك ياربّي لن يفوتني فرض ولا نفل ، ولن أحلم بأي شيءٍ يُغضبك . وأحلف لك ياربّي أنّي لا أريد أن ألمس يده ولا شعره . وأحلف لك ياربّي إنّي لا أريد أن أمسح العرق عن جبينه تحت النخلة . وبكت بكت كثيراً. **سيدات القمر : 5**)). لقد لعب التكرار هنا دوراً بارزاً في الكشف عن الحالتين النفسية والعاطفية لشخصية ميا حيث بدت لنا ضعيفة صادقة يخالجنا شعور بالشفقةِ تجاهها ، فهي لم تشكو حبها لأحد ، ولم تُصرّح به حتى لحبيبها ، ولا لأخواتها أسماء وخولة ، انما اكتفت ببث حزنها ووجعها ومشاعرها إلى خالقها وفي كل مرةٍ تُردد قسّمها مع مدلولٍ جديد تتعهد به لربّها عسى أن يأخذ بيدها ويساعدها .

وفي تكرارٍ آخر يتجّلى إخلاصها لهذا الحب العفيف بعد أن تتزوج من عبدالله ولد التاجر سليمان وتُخلص له ، لكنها لم تُصرّح له أنها تحبه مطلقاً حتى بعد أن ولدت له (لندن و سالم ومحمد) وعادة ما يقتر سؤاله لها عن حبها له مع ارتداء قميصها الكحلي ((وفي الليل كانت الغرفة معطرة وقميصها الكحلي شفّافاً وقلت لها: " تحبينني يا ميا؟" فسكنت ثم ضحكت ضحكت ضحكت **سيدات القمر : 18**)). يتكرر مثل هذا المقطع أكثر من خمس مرات وفي كل مرة يسألها عن حبه كانت ترتدي قميصها الكحلي ، لكنها لم تجبه بنعم أو لا في كل مرة ولم تتلفظ له بكلمة أحبك وفاءً لحبها الأول الذي كان من طرفٍ واحد ؛ لأنها كتمته في داخلها ولم تعترف به حتى للذي أحبته وتعلّقت به .

ومن التكرارات التي كشفت عن مكنونات بعض الشخصيات تكرار مفردة (مُلكي) في حوار أحمد خطيب لندن الذي انفصلت عنه ؛ لأنها اكتشفت أنّه أناني لا يحب غير نفسه ((انتِ ملكي .. أنتِ لندني ..أنتِ انتصاري وإلهامي .. أنتِ لي .. ستتركينني وتكونين لآخر ؟ والله ما يحصل ..أنتِ

ملكي .. فتاتي ..زوجتي ... هنت عليكِ ؟ أنتِ لي .. لندني ..إلهامي.. حبّي.. ملكي ...ملكي .. أنتِ ملكي ..ملكي. **سيدات القمر : 217**)). تكررت لفظة مُلكي خمس مرات كاشفةً عن حقيقة شخصية احمد وحقيقة حبه للندن ، فهو لم يكن يحبها بقدر ماكان يريد امتلاكها والطمع بأموال والدها ، لكنها سرعان ما تكتشف حقيقته ، فتقرر الانفصال عنه رغم حبها له وصعوبة الاعتراف بالفشل ، إضافةً إلى صعوبة تحمّل نظرة المجتمع إلى فتاة مطلقة .

ب_ توظيف الأغاني الشعبية:

ومن الظواهر الصوتية الجميلة التي وظفتها الكاتبة بعض الأغاني الشعبية باللهجة المحلية خصوصاً تلك التي كانت تغنّى في مواسم الحصاد، أو في المناسبات الدينية ((لم تذهب لمواسم الحصاد ، لم تعد تخرج حتّى بدايات شهر ذي الحجة لتُغنّي مع رفيقاته :

محَمّد هابط الوادي .... بلا مايٍ بلا زادي

محَمّد هابط الجنّة .... بنات الحور يجرّنه **سيدات القمر : 142.**)).

ومثل هذه الأغاني تقترن بالبساطة والطيبة ، وصدق الإيمان وجمالية الأداء ، وقد ذكّرتني حقاً بما كانت تُردد أمهاتنا وجداتنا بكل تصديق وقناعة وغيرة على شخصية الحبيب المصطفى (صلى اللهُ عليه وسلّم) ، الأمر الذي يدل على أن تراث الشعوب يكاد يكون واحداً ، أو على الأقل مُتشابهاً ، فالأغنية هي ذاتها مع اختلاف بعض الألفاظ الذي يعود لاختلاف البيئة الاجتماعية والجغرافية .

((محمد ساكن الوادي ... بلا ميٍ بلا زادِ ... يخص اصحابه العشرة بسلامٍ ماله حدادِ))

وهكذا فإن تراثنا العربي واحد ودمنا واحد ، وإن فرّقتنا الحدود والسياسة ، هذا التشابه يتجلّ ايضاً في الحكاية الشعبية الخرافية (العنز العنوزية) التي أورتها الكاتبة كما سمعناها من أمهاتنا مع اختلاف طفيف في بعض الأسماء ، لكن المعني واحد والمغزى واحد.

ومن الظواهر اللافتة في الرواية تضمين الكثير من الأبيات الشعرية لشعراء مثل امرئ القيس والمتنبي ، وابن الرومي ، ومجنون ليلى ، والاستشهاد بها وببعض الأقوال المأثورة في مناسباتٍ مختلفة أسهمت في الكشف عن بعض أحداث الرواية ، فهذه نجية المُلقّبة بالقمر الفتاة البدوية المُتحررة التي أصرّت على امتلاك عزان والد ميا ، فنشأت بينهما علاقة حرة جعلتها تتذّكر تجارب الشعراء واقوالهم وتضمنها في حديثها مع عشيقها عزان وهما يفترشان الرمال ((أصبحت نجيّة تحسّ أرق المتنبي وطموحاته وإحباطاته كأنها طموحاتها وإحباطاتها هي نفسها ، تخيلتْ البحتري جالساً على يمين المتوكل ينظران للبحيرة التي خلّدها في شعره ، وراقتها كثيراً صورة امرئ القيس يطارده الليل الذي أرخى

سدوله ... وأصبحت تنهي سهراتها مع عزان بعبارة امرئ القيس : " اليومُ خمرٌ وغداً أمرُ " **سيدات القمر : 114)).**

نجيّة تلك الفتاة البدوية التي تلقّب بالقمر، استطاعت أن تعتمد على نفسها بعد وفاة والدها فعملت بجدٍ وتفانٍ على رعاية غنمها وإبلها ، فتضاعف عددها وازدادت أموالها دون أن تهمل رعاية شقيقها المُعاق متحديةً نفسَها والمجتمع ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنّها تحدَت الأطباء الذين أخبروها أنّه لن يقف على قدميه مرةً أخرى ، لكنها أصرّت على معالجته ، فخلطت له

بعض الأعشاب مع الطعام والعسل ، فنجحت ووقف على قدميه وبدأ يتعافى تدريجياً ويمشي على قدميه؛ ولذا فهي حين تقول (اليوم خمرٌ وغداً أمرُ) في نهاية سهرتها مع عزان فكأنها تقارن حالتها مع حالة امرئ القيس حينما ورده خبر قتل والده فقال قولته المشهورة هذه.

وفي موضعٍ آخر نجد عزان هو الآخر يستشهد بأبياتٍ لابن الرومي في العشق بعدها تغيرت حياته كليّاً ، وحوله حبه لنجيّة إلى إنسان آخر أكثر رقةً وعاطفةً ((ضمّها عزان إلى صدره بقوة : آه يانجيّة .. يا القمر... أريدك لي.

همست نجيّة : ولكني لك.

تنهّد: لا لست لي تماماً ، الغير غير.

أفلتت نفسَها منه : كيف يعني الغير غير ؟

قال : يعني الكائنات منفصلة يانجيّة حتى في اتصالها وهذا أقسى أنواع العزلة.

نظرت إليه باستنكار، فابتسم لها: هل تذكرين ابن الرومي ؟

ابتسمت : المتشائم ؟ أذكره .

ضمّها ثانية : أتعرفين ماذا يقول ؟

أعانقها والنفسُ بعدُ مشوقةٌ ... إليها وهل بعد العناق تدانِ

والثمُ فاها كي تزولَ حرارتي... ليشفيهِ ما ترشفُ الشفتانِ

فإنّ فؤادي ليس يشفي غليلَه...سوى أن تُرى الروحينِ تمتزجانِ) **سيدات القمر : 114.**)).

وفي ختام هذه الجولة الماتعة بين صفحات هذه الرواية المُدهشة نقول هي بحاجةٍ إلى مزيد من الدراسات النقدية المتأنية ، لا المُتعجلة كهذه الدراسة التي ربما قصّرت في تناولها وتحليلها ويكفيها أنّا التمست العذرَ لنفسِها لتقصيرها غير المُتعمّد.

Sources and references:

First: books:

- Style and stylistics: Biro Giro: Translated by: Dr. Munther Ayashi: Center for Cultural Development, 1st edition, ed.

- Style and stylistics: Dr. Abdul Salam Al-Masadi: Arab House of Books, Tripoli, Libya, 3rd edition, 1973..

- Stylistics: A theoretical approach and an applied study: Dr. Fathallah Ahmed: Library of Arts, Cairo, 1st edition, 2004..

- Stylistics and applied vision: Dr. Youssef Abu Al-Adous: Dar Al-Masirah, Petra, Jordan, 1st edition, 2007..

- Arabic proverbs and the pre-Islamic era: Muhammad Tawfiq Abu Ali: Dar Al-Nafais, 1st edition, 988..

- Rhetoric and stylistics: Dr. Muhammad Abd al-Muttalib: Lebanon Publishers Library, Beirut, ed. 994..

- Analysis of poetic discourse and the strategy of intertextuality: Dr. Muhammad Muftah: Arab Cultural Center, Casablanca, 3rd edition, 1992..

- Sin and Atonement: Abdullah Al-Ghadhami: Egyptian Book Authority, Cairo, 4th edition, 1998..

- Evidence of the Miraculous: Abd al-Qahir al-Jurjani: edited by Mahmoud Muhammad Shaker: al-Khanji Library, Cairo, D. T..

- Ladies of the Moon: A Novel by: Jokha Al-Harithi: Dar Al-Adab for Printing and Publishing, Beirut, 1st edition, 2010..

- The phenomena of modern poetry style in Yemen, study and analysis: Ahmed Qasim Al-Zumar: Ministry of Culture, Sana'a, 1st edition, 2004..:

- Readings with Al-Shabi, Al-Jahiz, and Ibn Khaldun: Dr. Abdul Salam Al-Masadi: Dar Suad Al-Sabah, Kuwait, 4th edition, 1993..

- Language and Writing - Title Strategy -: Khaled Hussein: Al-Mawqif Al-Adabi Magazine, No. 228, 2006..

- Elements of the stylistic column of poetry in theory and practice: Rahman Gharkan: General Union of Arab Writers website, electronic version, 2020..

Second: Periodicals:

- Stylistics and Literary Criticism: Abdul Salam Al-Masdi: Foreign Culture Magazine, Issue 1, 1982..

- Language and Writing - Title Strategy -: Khaled Hussein: Al-Mawqif Al-Adabi Magazine, No. 228, 2006..

- Novels Forum: Electronic newspaper: International Information Network (Internet).